The Levantine migration to Egypt between the years (1850-1900 AD) (The causes and economic consequences)

Dr. Ilham Youssef*
Mohammed Ghassan Youssef**

(Received 21 / 5 / 2024. Accepted 23 / 7 / 2024)

□ ABSTRACT □

During the nineteenth century, the Levant witnessed large migrations of the people of the Levant abroad, and this matter is related to internal factors in the Levant, which is the country from which the emigrant is, represented by the political and religious crises, and the accompanying deterioration of the economic and social conditions in the region. On the political level, the lack of security and stability, as a result of The policy of the Ottoman rulers based on oppression and tyranny. On the religious level: sectarian tensions contributed to perpetuating the policy of societal division, as a result of the members of one sect gathering together, and this led to religious sensitivities and the emergence of several sectarian problems. On the economic level: the decline in the living conditions of the population and the loss of many of the requirements of life.

This bitter reality led to the emigration of a large number of people of the Levant towards various countries of the world, and one of those destinations was Egypt, which witnessed during the nineteenth century, and with Muhammad Ali and his family assuming power after him, a state of political, economic and social stability, and thus the country experienced a comprehensive renaissance over the years. At all levels, and with the settlement of these immigrants in Egypt, they began their various activities in an attempt to integrate into the Egyptian society, and this matter had an important role in pushing these immigrants to work in various economic activities, leading to achieving great successes that contributed to the renaissance of Egyptian society.

Key words: Bilad al-Sham, Ottoman rulers, Egypt, nineteenth century.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Professor - Faculty of Arts and Human Sciences - Tishreen University - Latakia - Syria**
****PhD Student - Faculty of Arts and Human Sciences - Tishreen University - Latakia - Syria**

الهجرة الشامية إلى الديار المصرية بين عامي (1850-1900م) (أسبابها ونتائجها الاقتصادية)

د. إلهام يوسف*

محمد غسان يوسف**

(تاريخ الإيداع 21 / 5 / 2024. قبل للنشر في 23 / 7 / 2024)

□ ملخّص □

شهدت بلاد الشام خلال القرن التاسع عشر هجرات كبيرة لأهل الشام نحو الخارج، وهذا الأمر يتعلق بعوامل داخلية في بلاد الشام وهي البلاد المهاجر منها، والمتمثلة بالأزمات السياسية والدينية، وما رافقها من تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة، فعلى الصعيد السياسي انعدم الأمن والاستقرار، نتيجة سياسة الحكام العثمانيون القائمة على القمع والاستبداد. وعلى الصعيد الديني: ساهمت التوترات الطائفية في تكريس سياسة الانقسام المجتمعي، نتيجة تكتل أبناء الطائفة الواحدة مع بعضها، وهذا ما قاد إلى الحساسيات الدينية وحدوث مشكلات طائفية عدة. وعلى الصعيد الاقتصادي: تراجع الأوضاع المعيشية للسكان وفقدان الكثير من متطلبات الحياة.

هذا الواقع المرير قاد إلى هجرة عدد كبير من أبناء الشام نحو مختلف بلدان العالم، وكانت إحدى تلك الوجهات مصر، التي شهدت خلال القرن التاسع عشر، ومع تولي محمد علي وأسرته الحكم من بعده حالة من الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وبالتالي عرفت البلاد نهضة شاملة على كافة الصعد، ومع استقرار هؤلاء المهاجرين في مصر، بدأوا نشاطاتهم المتنوعة في محاولة منهم للاندماج بالمجتمع المصري، وقد لهذا الأمر دوراً مهماً في دفع هؤلاء للعمل في مختلف النشاطات الاقتصادية، وصولاً إلى تحقيق نجاحات كبيرة أسهمت في نهضة المجتمع المصري.

الكلمات المفتاحية: بلاد الشام، الحكام العثمانيون، مصر، القرن التاسع عشر.

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

*أستاذ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة تشرين- اللاذقية- سورية

**طالب دكتوراه- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة تشرين- اللاذقية- سورية

مقدمة:

كانت بلاد الشام مسرحا مستعرا بالأحداث التاريخية خلال القرن التاسع عشر، مما أنتج العديد من الأزمات السياسية والدينية مع تدهور متسارع في الحالة الاقتصادية إبّان ذلك. ولّد ذلك موجات هجرة متتابعة إلى العديد من البلدان الأخرى لاسيما الديار المصرية. وبالتالي، تعد تيارات هجرة سكان بلاد الشام ظاهرة تاريخية مهمة تستدعي التحليل والتقصي في الأسباب والتبعات والنتائج على كل من البلاد المهاجر منها والمهاجر إليها

إشكالية البحث:

تتحدث هذه الدراسة عن موضوع الهجرة الشامية إلى الديار المصرية، وذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أي المرحلة التي تلت خروج المصريين من بلاد الشام بعد السيطرة عليها (1832–1840م)، وما تلاها من أحداث تتعلق بالفتن الداخلية التي ضربت بلاد الشام وأثرت على أجزاء واسعة منها (سيتم الحديث عنها لاحقاً)، والتي ساهمت إلى حد كبير في انعدام الأمن، وبالتالي عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي في البلاد، فضلاً عن السياسات العثمانية المتبعة في المنطقة، والمتمثلة في إشعال الفتن والخلافات بين مكونات المجتمع الشامي للأستمرار في سيطرتها، وترسيخ وجودها كقوة جامعة لكل أهل الشام، كان لهذا الواقع المليء بالفتن والاضطرابات دوراً في تنشيط حركة الهجرة الشامية إلى مختلف بلدان العالم، وكانت مصر هي إحدى تلك الوجهات التي هاجر إليها أهل الشام.

سبب الاختيار:

يعود سبب اختيار البحث إلى قلة الدراسات التاريخية المتعلقة بهجرة أهل بلاد الشام إلى دول العالم عامةً، ومصر على وجه الخصوص، حيث كانت تلك الدراسات ضئيلة فيما عدا وجود إشارات موجزة في بعض المصادر التاريخية التي تحدثت عن النشاط الذي مارسه أهل الشام في مصر، في مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وبالتالي فقد كانت أهمية هذا البحث تنبع من تسليط الضوء على أسباب ودوافع هجرة أهل الشام إلى مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومدى قدرة أهل الشام على ترسيخ وجودهم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي داخل المجتمع المصري.

منهج البحث:

سيعتمد البحث على المنهج التاريخي المتبع في الدراسات التاريخية، القائم على الدراسة الوصفية في دراسة أحداث المرحلة، وعلى تحليل تلك الأحداث وفق منهج علمي، وقد تم الاستعانة بعدد من المصادر التي عاصرت تلك الفترة الزمنية، والمراجع التي ساهمت في إغناء البحث بالمعلومات المهمة.

أهمية البحث وأهدافه:

تساعد دراسة الهجرة الشامية إلى الديار المصرية، من معرفة الأسباب الحاصلة داخل المجتمع الشامي، وكذلك الحاصلة داخل المجتمع المصري، التي دفعت السكان للهجرة من بلاد الشام نحو مصر، والنتائج التي حصلت داخل المجتمع المصري نتيجة تلك الهجرة، وبالتالي إعطاء فكرة جلية وواضحة عن تلك الهجرة، وما رافقها من نجاح أهل الشام في الاختلاط بالمجتمعات التي هاجروا إليها، وبالتالي استغلالهم الفرصة المناسبة لتحقيق النجاحات في مختلف الميادين عموماً، والميدان الاقتصادي بقطاعاته المختلفة (التجارة والصناعة والزراعة) خصوصاً، فكان لهم دوراً كبيراً ونشاطاً واسعاً في هذا المجال، ساهمت في ترسيخ وجود المهاجرين من أهل الشام داخل المجتمع المصري.

النتائج والمناقشة

تأثير الأوضاع في مصر على هجرة أهل الشام: نشطت في العصور الحديثة الهجرة من بلاد الشام نحو بلاد مصر والتي توضحت وترسخت بشكل أساسي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إذ تعددت العوامل والأسباب داخل المجتمع المصري والتي دفعت إلى تلك الهجرة، والتي يمكن إجمالها بالنقاط التالية:

أ- **السيطرة المصرية على بلاد الشام:** والتي بدأت في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، حيث وجه محمد علي باشا[1] حملة بقيادة إبراهيم باشا[2] نجحت في السيطرة على كامل بلاد الشام في زمن قياسي، بل ونجحت في السيطرة على آسيا الصغرى وتهديد العاصمة الآستانة[3]، وهذا ما أدى إلى حرية الحركة بين الجانبين لأنهم يعيشون في دولة واحدة، ونتيجة الصورة الإيجابية التي انطبعت في أذهان أهل الشام عامةً والمسيحيين خاصةً تجاه مصر والنظام السياسي فيها، وبالتالي زيادة أعداد الشاميين المتجهين نحو مصر[4]، وفي عام 1840م هاجر قسم كبير من أهل الشام نحو مصر وذلك إثر قيام الدول الأوروبية والدولة العثمانية من شن حرب على القوات المصرية أجبرتهم على الانسحاب من بلاد الشام، فغادر معهم عدد كبير من الجنود من أهل الشام المتواجدين في الجيش المصري فضلاً عن عدد كبير من الموظفين والإداريين الحكوميين الذين خدموا في مؤسسات الدولة المصرية خلال وجودهم في الشام، وبعد مغادرتهم نحو مصر عمل بعضهم معلمين في المدارس المصرية، وعمل أخرون موظفين في الدوائر الحكومية[5].

فيقول المؤرخ أحمد طربين[6] عن أثر الحكم المصري في هجرة الشوام نحو مصر، فقال: "إن الارتباط بمصر في هذه المدة القصيرة، وعلى الرغم من ظروف الحرب التي مرت عليه لم يخل من أي تأثير في المستقبل، وخصوصاً لما تجرد هذا الحكم من سمات الطائفية الدينية الموروثة، فانفتحت أمام السوريين واللبنانيين أبواب الهجرة إلى مصر بعد زوال

---

[1]- ولد في قولة جنوب إقليم مقدونيا في عام 1769م، كان والده رئيس خفر الطرق في بلاده، توفي والداه وهو صغير في السن، أرسل إلى مصر مع الحملة العسكرية العثمانية التي هدفت لاستعادة مصر من الفرنسيين، وسرعان ما لمع نجمه وأصبح قائداً لإحدى كتائب الحملة، تألق نجمه مع تمرد الجنود على خسرو باشا، ومع تعيين خورشيد باشا والياً على مصر، ارتكب عسكره الكثير من المفاسد، مما دفع زعماء الشعب على عزل خورشيد باشا وتعيين محمد علي مكانه، وذلك في عام 1805م، فصدر قرار سلطاني بذلك، سعى محمد علي إلى التخلص من المشكلات الداخلية والخارجية التي اعترضته، كما عمل على تطوير الواقع الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والعسكري في مصر. انظر: الأيوبي، إلياس: محمد علي، دار هنداوي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2014م، ص9-18. وبيضون، جميل وأخرون: تاريخ العرب الحديث، دار الأمل للنشر، إربد، ط1، 1991م، ص78-80.

[2]- هو نجل محمد علي باشا، كان ساعد أبيه الأيمن في أغلب أعماله العسكرية، ولد في قولة عام 1784م، مال نحو الأعمال الحربية منذ صغره، كان يعرف الفارسية والتركية والعربية، تولى الإمارة بعد تنازل أبيه عن الحكم عام 1848م، كان صارم المعاملة شديد الوطأة استمر حكمه 11 شهر، وتوفي قبل والده. انظر: زيدان، جرجي: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ج1، ط1، 2012م، ص43.

[3]- لوتسكي، فلاديمير: تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة: عفيف البستاني، دار التقدم، موسكو، د.ط، د.ت، ص127. حسون، علي: تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1994م، ص88.

[4]- كانت السياسة المصرية في الشام تقوم على تحديث بلاد الشام في كافة النواحي، وإقامة العدل بين الرعايا على اختلاف اديانهم وطبقاتهم، فكانت حكومة محمد علي أفضل ما رأت الشام من حكومات منذ ثلاثة أو أربعة قرون. انظر: ضاهر، مسعود: هجرة الشوام (الهجرة اللبنانية إلى مصر)، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009م، ص134-136.

[5]- درويش، ماهر محمد: هجرة الشوام (خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين)، قدمت هذه الأطروحة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، 2003م، ص44.

الارتباط نفسه، وأبواب العمل في كل نواحي الحياة في مصر (التجارة والإدارة والتعليم والحركة الأدبية والصحف والمطابع والتمثيل وما إليه)"[7].

إذ بلغ عدد المهاجرين السوريين الشوام في عام 1811م حوالي 5000 مهاجر استقروا في القاهرة ثلاثة ألاف مهاجر، وفي دمياط بين 500–600 مهاجر، والاسكندرية بين 200–300 مهاجر وغيرها من المدن المصرية[8]، كما استقدم محمد علي عدد من المزارعين والصناعيين من أهل الشام للإشراف على زراعة بعض أنواع النباتات التي أحضرها من بلاد الشام وعلى رأسها دودة القز وصناعة الحرير والفستق الحلبي[9]، وبذلك فقد كان للحكم المصري في الشام دوراً واضحاً وجلياً من هجرة السكان نحو الديار المصرية والاستقرار بها.

ب– الاستقرار السياسي في الدولة المصرية: والتي بدأت ملامحها بالظهور مع حكم الخديوي اسماعيل (1863–1879م)[10]، الذي تولى الحكم في جو هادئ لا يعكر صفوه التدخل الأوروبي، فعمل منذ توليه الحكم على اتخاذ إجراءات هدفت إلى تحديث المجتمع المصري، ففي المجال السياسي: أنشئ الخديوي اسماعيل مجلس الشورى، الذي أتاح هامشاً من حرية التعبير عن الرأي، وعكس نوعاً من المشاركة الشعبية في شؤون الحكم[11]. وفي المجال الثقافي: أقام اسماعيل باشا نهضة علمية وفكرية، فأسس المدارس والمعاهد وأسس الجمعيات العلمية، وعمل على تنشيط الصحافة والعلوم والآداب[12]. وفي المجال الاجتماعي: عرف حكمه تسامحاً دينياً، فلم يشهد المجتمع انقسامات دينية أو طائفية جلية، فكانت الدولة تعامل جميع الأديان على قدم المساواة، وقد تعزز التوجه الديني مع التسهيلات الكبيرة التي قدمتها الحكومة للبعثات التبشيرية[13]. وفي المجال الاقتصادي: سعى الخديوي الخديوي إلى القيام بعملية تنمية شاملة في المجال الاقتصادي (التجاري الصناعي الزراعي)[14]، فتطلب هذا الأمر وجود موظفين على درجة عالية من الدقة والعناية باللغة الأجنبية، وهذا ما دفع سكان الشام للهجرة إلى مصر.

---

[7] طربين، أحمد: تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر (دراسة في التطورات والاتجاهات السياسية)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1995م، ص166.

[8]– ضاهر، مسعود: هجرة الشوام، مرجع سابق، ص139.

[9]– رستم، أسد: المحفوظات الملكية المصرية (بيان بوثائق الشام1251–1254/1835–1839م)، الجامعة الأمريكية، بيروت، د.ط،1940م، ج3، ص379–381.

[10]– ولد اسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي باشا في عام 1829م، عمل منذ صغره على جمع العلوم والمعارف، تجول في أنحاء أوروبا، تولى الحكم في مصر وعمره 34عام، عمل على إصلاح البلاد وفق النظام الأوروبي، وقاد حملة عسكرية إلى الحبشة فوقع اتفاق مع حاكمها، ونجح على صعيد النظام السياسي الداخلي في تغيير بنود معاهدة 1840م، فجعل نظام الحكم الوراثي في أسرته من بعده فكانت ولاية العهد لابنه ثم حفيده ثم ابن حفيده، كما منح لقب خديوي، تنازل عن الحكم لصالح ولده توفيق وغادر البلاد نحو إيطاليا بعد ان بقي في الحكم 17 عام. انظر: زخورا، إلياس: مرآة العصر في تاريخ ورسومات أكابر الرجال بمصر، المطبعة العمومية، القاهرة، د.ط، 1897م، ج1، ص35–37.

[11]– رافق، عبد الكريم: العرب والعثمانيون(1516–1916م)، مطابع ألف باء، دمشق، ط1، 1974م، ص482.

[12]– الرافعي، عبد الرحمن: عصر اسماعيل، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1987م، ج1، ص247 ومابعد.

[13]– الأيوبي، إلياس: تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا (1863–1879م)، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ط، 1990م، ص212– 232.

[14]– في المجال التجاري ازداد عدد البواخر البحرية، واتسعت شبكة السكك الحديدية بشكل كبير، وفي المجال الصناعي تم إقامة معامل النسيج وحلج القطن والسكر والحديد والأسلحة، وفي المجال الزراعي تطورت مساحة الأراضي الزراعية، وتم إدخال الآلات الزراعية الحديثة، وازداد الانتاج الزراعي. انظر: الجميل، سيار: تكوين العرب الحديث، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1997م، ص442–443.

وتلاه الخديوي توفيق (1879–1892م)[15] الذي سعى جاهداً إلى متابعة مسيرة أبيه وجده في الحكم، فعمل على إصلاح شؤون البلاد الداخلية، وأظهر ميلاً للديمقراطية، وتأييداً للحكم النيابي، لكن الواقع السياسي في مصر كان كثير التعقيد وشديد الخطورة، فلم يكن الخديوي قادر على تنفيذ أي مشروع أو اتباع سياسة مستقلة، بسبب التدخل المتكرر والمستمر من قبل الحكومة البريطانية والفرنسية في الشؤون الداخلية للدولة المصرية، التي وجدت في النظام القائم خير ضمان لاستقرار مصر، فكان احتلال بريطانيا لمصر في عهده وذلك عام 1882م[16].

ثالثاً: تأثير الأوضاع في بلاد الشام على الهجرة خارجها: شهدت الأوضاع في بلاد الشام تراجعاً شاملاً على مختلف الصعد (السياسية والعسكرية والاقتصادية والفكرية)، وكان لتردي تلك الأوضاع دوراً في هجرة أهل الشام خارج ديارهم، ومن أهم تلك المؤثرات:

أ- **الفتن والحروب الأهلية في بلاد الشام:** والتي تمثلت بمجموعة من الحروب بين الطوائف الدينية في بلاد الشام والتي اندلعت بعد خروج القوات المصرية من الشام، ولعبت فيها الدولة العثمانية المسيطرة دوراً سلبياً لتضمن استمرارية وجودها، ومن تلك الحروب:

الحرب الأهلية الأولى1841م: يرجع سبب الصدام الأول بين الدروز والمسيحيين في الشوف[17]، إلى اصطياد أحد أبناء دير القمر حجلاً في خراج بعقلين في أملاك الشيخ ناصيف أبو نكد[18]، فاعترضه الحراس وانهالوا عليه ضرباً وتعذيباً، ومع انتشار الخبر في دير القمر اتخذ الحدث طابعاً طائفياً فقام حوالي ستين شاباً من مسيحي دير القمر بمهاجمة بعقلين والقرى الدرزية المحيطة فقتلوا ستة عشر من الدروز وجرح ستة عشر أخرون، بينما قتل من المسيحين خمسة وجرح ثمانية[19]. ومن ثم شهدت الأيام المتبقية هجوماً للدروز على أماكن العبادة المسيحية' فهاجموا كنيسة مار إلياس للروم الكاثوليك[20]، وأدى هذا الحدث إلى قيام الدروز بفرض حصار كامل على دير القمر وأشعلت النيران في البلدة، ودمرت القرى المجاورة وراح العديد من الموارنة ضحية الغضب الدرزي بلغ عدد القتلى حوالي مئة، وبعد حصار

---

[15]- ولد توفيق باشا ابن اسماعيل عام 1852م، ولما بلغ التاسعة من عمره أدخله والده المدرسة لتلقي العلم، فدرس علوم الجغرافية والتاريخ والطبيعيات، وتعلم اللغات الانكليزية والفرنسية والتركية، تولى عدد من المناصب الإدارية والسياسية قبل توليه الحكم. انظر: زخورا، إلياس: مرآة العصر، مصدر سابق، ص37-42.

[16]- صفوت، محمد صفوت: الاحتلال الانجليزي لمصر وموقف الدول الكبرى منه، دار الفكر العربي، مصر، د.ط، 1952م، ص3-40.

[17]- يذكر مخائيل مشاقة عن واقع جبل لبنان قبيل اندلاع أحداث الحرب، فيقول: "أقبلت سنة 1841م على أهالي الجبل والناس في قلقلة ونفور، ورائد الطرف يحكم لنفسه أن حركة القوم غير عادية وإذا توغل في الاستقصاء يتجلى له استفحال الأمر وجسامة الخطب، ويشاهد فريقاً على تأهب واستعداد كأنه مدفوع إلى الكفاح، وفريقاً لاهياً كأنه أمن حوادث الزمان وكروب الأيام، وكانت الدولة قد نضجت مساعيها ونفخت في صدور الدروز روحها السامة فملأتها وما عاد ينقصها عن الانفجار إلا سبب طفيف يساعدها على ذلك". انظر: مشاقة، مخائيل: مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، منشئاه: ملحم خليل عبدو واندراوس حنا شخاشيري، د.م، مصر، د.ط، 1908م، ص145.

[18]- أوبنهايم، ماكس فون: الدروز، ترجمة: محمود كبيبو، دار الوراق للنشر، لندن، ط2، 2009م، ص97.

[19]- مجهول: حسر اللثام عن نكبات الشام (وفيه مجمل أخبار الحرب الأهلية المعروفة بحوادث سنة 1860م، مع تمهيد في وصف البلاد الجغرافي والسياسي)، د.م، مصر، ط1، 1895م، ص80-81.

[20]- زكار، سهيل، تاريخ بلاد الشام في القرن التاسع عشر، التكوين للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، د.ط، 2006م، ص219-222.

لمدة ثلاثة أسابيع تعين على الموارنة تسليم أسلحتهم للدروز، والموافقة على إخلاء المدينة[21]، وقد نتج عن الفتنة الأولى مقتل حوالي ثلاثة آلاف من المسيحين، وأربعمائة من الدروز[22].

وفي الفتنة الثانية 1845م: نشبت الحرب الأهلية بين المسيحين والدروز والتي تعرف بالحركة الثانية، بذريعة محاولة أحد شيوخ الدروز تجريد فلاحي قريته من السلاح فهب سكان القرى المجاورة وأهالي دير القمر لنجدة الفلاحين الذين أخذوا يقاومون الشيخ فاندلع القتال حالاً[23]. وبدأ المسيحين بالهجوم على الشوف وأحرقوا ما يقارب أربع عشرة قرية درزية، كما دار القتال في أماكن مختلفة من منطقة المتن فهجم مسيحي المنطقة بمساعدة مسيحي مدينة زحلة على عدد من القرى الدرزية، فسارع الدروز إلى الانتقام، لينجح المسيحين من إخراج القوات الدرزية من المتن لكن القوات الدرزية عادت إليه مع المساعدة التي تلقتها من القوات العثمانية[24]، وكانت نهاية الحرب عندما جمع والي صيدا وجهاء المسيحين والدروز في1845/6/2م فوقعا وثيقة تعهد بموجبها الجانبان بعدم الاعتداء على الآخر، وبالمحافظة على حالة دائمة من الوئام والأمن، وأتاح هذا الاتفاق للبنان أن ينعم من جديد بالاستقرار، على الرغم من بعض المناوشات التي تحصل بين الطرفين[25].

وفي الفتنة الثالثة 1860م: التي تعد إحدى أهم تلك الفتن كونها امتدت إلى مناطق متفرقة من بلاد الشام، ويرجع سببها الرئيس إلى اضطراب العلاقات المارونية الدرزية في مراحل سابقة، فكان كل طرف ينتظر الفرصة المناسبة لمهاجمة الطرف الأخر، وكان فتيل الأزمة بعدما خرج عدد من المسيحين باتجاه زحلة فهاجمهم الدروز، كما هاجموا المدن وأحرقوا العديد من القرى المسيحية[26]، فجرت مجموعة من المعارك بين الجانبين أجبرت على إثرها الدولة العثمانية من توقيع اتفاق بين الأطراف المتحاربة تحت ضغط أوروبي كبير، لكن الاحداث مات لبث أن انتقلت إلى دمشق فسقط حوالي 6500 قتيل في يوم واحد، الأمر الذي هز أوروبا، وتحت ضغط دولي أغلق الملف الامني في بلاد الشام، مع بقاء النفوس مشحونة بالضغائن والحقد بين الاطراف المتنازعة[27].

ب– تردي الواقع الاقتصادي في بلاد الشام: شهد النشاط الاقتصادي تراجعاً واضحاً في بلاد الشام، أصاب مختلف الشرائح الاجتماعية، وهذا ما ساهم في ازدياد الهجرة، وارتفاع الأسعار بشكل كبير في ظل انهيار اقتصادي شامل، ومن أهم مظاهر تردي الحياة الاقتصادية، الامتيازات الأجنبية[28] التي تحولت إلى عبء ثقيل على كاهل الدولة

---

[21]– أوبنهايم، ماكس فون: من البحر المتوسط إلى الخليج (لبنان وسورية)، ترجمة محمود كبيبو، شركة دار الوراق للنشر المحدودة، لندن، (جزأين، ج1)، ط1، 2008م، ص182.

[22]– مجهول: حسر اللثام على نكبات الشام، مصدر سابق، ص100.

[23]– نسكايا، سميليا: الحركات الفلاحية في لبنان في النصف الأول من القرن التاسع عشر، تعريب عدنان جاموس، دار الفارابي، بيروت، د.ط، 1972م، ص170.

[24]– الصليبي (كمال): تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر، بيروت، ط7، 1991م، ص103–104.

[25]– السودا، يوسف: في سبيل لبنان، مطبعة الأرز، بيروت، ط2، 1924م، ص219.

[26]– غنام، رياض حسين: المقاطعات اللبنانية في ظل حكم الأمير بشير الشهابي الثاني ونظام القائمقاميتين (1788–1860م)، سيان للتوزيع والنشر، بيروت، ط1، 1998م، ص358.

[27]– اليسوعي، صلاح أبو جودة: هوية لبنان الوطنية نشأتها واشكالاتها الطائفية، دار المشرق، بيروت، ط1، 2008م، ص48.

[28]– تعرف الامتيازات بأنها الحقوق التي منحها السلاطين العثمانيون للدول الأجنبية، ورعاياها على أراضي الدولة العثمانية في فترات مختلفة، أو تلك التي حصل عليها الأجانب ضمن ضغوطهم السياسية والاقتصادية على الدولة العثمانية في عهد ضعفها وانحطاطها، وقد منحت تلك الاتفاقيات الدول الأوروبية حقوقاً سمحت لهم بالتدخل في شؤون الدولة عن طريق رعاياها النصارى، وأصبحت هذه الاتفاقيات

العثمانية في مرحلة ضعفها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فأصبحت بلاد الشام سوقاً لتصريف المنتجات الأوروبية، وفتحت الباب على مصراعيه على أمام الرأسمال الأجنبي للاستثمار في البلاد، وألغت الدولة الضرائب الواردة إلى أراضيها، ومنح الأجانب حق شراء الأراضي فيها[29].

وقد تعددت تأثيرات تلك الامتيازات على الاقتصاد الشامي، ففي المجال التجاري: فقد عرفت بلاد الشام تراجعاً واضحاً في تجارتها بعد افتتاح قناة السويس عام 1869م، وذلك بسبب تحول طرق التجارة العربية من موانئ الخليج العربي والعراق عبر بلاد الشام إلى موانئها المطلة على البحر المتوسط فأوروبا، والمرور مباشرةً في القناة مما عرض الاقتصاد الشامي لهزة عنيفة، بعد فقدانه مصدر دخل رئيس من خلال تجارة المرور، فيقول محمد كرد علي[30] عن تأثير افتتاح قناة السويس على بلاد الشام: "...، وتأذت تجارة حلب ودمشق بفتح الفرنسيين ترعة السويس سنة (1868) وكان من نكبة الشام بفتح هذه الترعة أن انتقل كثير من تجار دمشق وحلب إلى بيروت والقاهرة والإسكندرية وطنطا وإزمير وسلانيك...، ووقد تحولت تجارة الصين والهند إلى البحر، وبطل عمل القوافل التي كانت تغدو وتروح بين الشرق الادنى والأقصى، وقل عدد الذين يمرون بدمشق من الروم وغربي أسيا للذهاب إلى الحج، وأصبح معظمهم يركب البحر إلى البقاع الطاهرة تخفيفاً من عناء الأسفار في القفار، وانحصرت التجارة الداخلية في حدود ضيقة، وأصبحت لا تتعدى المستهلكات"[31].

وفي المجال الصناعي: تدفقت البضائع الأوروبية الأرخص سعراً إلى بلاد الشام، فأغرقت الأسواق بها، وهذا ما عرض الإنتاج الحرفي لأزمة خانقة، فانحسرت مبيعاته وتراجعت[32]، مما أدى إلى فقدان المدن الصناعية لأسواقها المحلية والدولية، بسبب غلاء أسعار المنتجات الحرفية، ومنافسة البضائع الاجنبية لها[33]، وقد وصف أحد الرحالة الأوروبيين واقع صناعة النسيج في عام 1850م، فقال: "إن السبب الوحيد لتدهور صناعة المنسوجات الحريرية في دمشق التي كانت مزدهرة يوماً هو إطلاق حرية استيراد المنتجات البريطانية والسويسرية، إن هذه المنتجات أقل سعراً بنحو الربع من المنسوجات الحريرية الدمشقية، ولكنها اقصر عمراً بكثير، إن الطبقات الفقيرة هي التي تشتري المنسوجات الأوروبية، إذ دفعهم تزايد فقرهم إلى الانصراف عن المنسوجات المحلية الأكثر جودةً والاعلى سعراً"[34].

وفي المجال الزراعي: فقد كان النظام الاقطاعي هو المسيطر، وبدوره كان الاقطاعي يوكل شخص ينوب عنه في الإشراف على المزروعات والمزارعين، الذي عامل الفلاحين معاملة العبيد، وهذا ما أدى إلى سيادة الفوضى، واختلال الأمن وانتشار الفساد، فخربت القرى وهجرها سكانها[35]، وهذا ما أدى إلى تدهور مساحة الأراضي الزراعية، وقلت كميات الإنتاج الزراعي، ومن أمثلة ذلك تراجع انتاج القطن بشكل سريع بسبب رداءة المنتج المحلي وقصر أليافه،

ملزمة للحكام العثمانيين. انظر: صابان، سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 2000م، ص36.

[29]– لوتسكي، فلاديمير: تاريخ الأقطار العربية الحديث، مرجع سابق، ص374.

[31]– كرد علي، محمد: خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط2، ج4، ص250.

[32]– نسكايا، سيميليا: المقدمات الاجتماعية والاقتصادية للحركات المناوئة للإقطاع، دار الفارابي، بيروت، د.ط، 1971م، ص65.

[33]– هرشلاغ، ز. ي: مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط، ترجمة: مصطفى الحسيني، دار الحقيقة، بيروت، ط1، 1973م، ص27–33.

[34]– أمين، جلال أحمد: المشرق العربي والغرب (دور المؤثرات الخارجية في تطور النظام الاقتصادي العربي والعلاقات الاقتصادية العربية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، 1983م، ص29.

[35]– الدوري، عبد العزيز: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة، بيروت، ط3، 1980م، ص121.

ومنافسة القطن المصري والأمريكي له، وكذلك فقد تم احتكار التبغ مما أدى إلى حصر زراعته وتحديد المساحات والأنواع مما أدى إلى تناقص كميات الانتاج[36].

وقد وصف القنصل البريطاني في دمشق الحالة التي أصبحت عليها بلاد الشام بعد عودة الحكم العثماني عليها، فيذكر في رسالة له عام1858م: "لما كانت الإيالة تحت حكم محمد علي باشا عاد كثير إلى سكنى المدن والقرى المهجورة، وإلى حراثة الأرضين المهملة...، ولم يكد المصريون يطردون من القطر ويتقلص ظل سطوتهم (وقد كانوا قد أخضعوا الجميع لحكمهم الشديد)، حتى عاد القوم إلى نبذ الطاعة، وخلفت الرشوة والتبذير في إدارة المالية النزاهة والاقتصاد، ومنيت المداخيل بالنقص، واستأنف عرب البادية غاراتهم على السكان فخلت القرى والمزارع المأهولة بالتدريج، حتى أمكن القول أن لا يوجد ظل للأمن على الحياة والأملاك، وكل شيء يدل على عودة الفوضى إلى هذه الديار التي تركها المصريون"[37].

النشاط الاقتصادي للشوام في مصر:

1- في المجال التجاري:

أ- **النشاط التجاري:** كان الحضور الأهم لأهل الشام في ميدان العمل التجاري، وقد تمثل هذا النشاط في افتتاح المحال التجارية التي اعتمدت على بيع السلع والبضائع المصنوعة محلياً أو المستوردة، لكنهم ما لبثوا ان عملوا على تطوير تجارتهم من خلال القيام بعملية تصنيع تلك المنتجات، أو العمل على استيرادها من بلد المنشأ مباشرةً بحيث تزيد نسبة أرباحهم، حيث كان التجار في القاهرة يستوردونها من الآستانة، وبدورهم يجلبونها من أوروبا، فقام بعض التجار السوريين بجلب تلك البضائع من أوروبا مباشرةً، دون الرجوع إلى الآستانة، وبيعها بأرخص مما كانت عليه[38]، ولعل من أهم الامور التي دفعت بالتجار الشوام إلى النجاح في عملهم، علاقاتهم الوثيقة مع المصريين وهذا يرجع إلى احتكاكهم المتواصل معهم، والعادات المتقاربة واللغة الواحدة التي تجمعهم، فكانوا الأقرب إلى فهم الطبيعة المصرية وحاجاتها والقدرة على تأمين متطلباتهم، وبالتالي الحصول على ثقتهم[39].

فيقول المؤرخ محمد كرد علي: "قال أحد المفكرين إن مصر لم يجئها من الشمال إلا فاتح، ومن الغرب إلا صاحب طريق، ومن الجنوب إلا خادم، ومن الشرق إلا تاجر، وهو كلام في جملته صحيح يثبته الواقع، فالسوريون أتوا مصر تجاراً ولذلك يستثقل ظلهم بعض المصريين...، وأن الجالية السورية فيها أرقى من جميع الجاليات بتهذيبها وتربيتها"[40]. لم تقتصر علاقات أهل الشام على المصريين فقط، بل تعداها إلى العلاقات مع الدول الأوروبية، حيث تمتع الكثير من أهل الشام بمكانة تجارية كبيرة، مكنتهم من تمثيل البلدان الأوروبية في المدن التي يعيشون بها كقناصل لهم، حيث كان يتم اختيارهم ممن يتمتع بمكانة تجارية عالية، وبشكل خاص ممن يتعامل مع تلك الدول ويروج لمنتجاتها[41].

---

[36]- غرابية، عبد الكريم: سوريا في القرن التاسع عشر (1840–1876م)، معهد الدراسات العربية، القاهرة، د.ط، 1962م، ص152.

[37]- كرد علي، محمد: خطط الشام ، مصدر سابق، ج3، ص69–70.

[38]- زيدان، جرجي: تراجم الشرق، مصدر سابق، ج1، ص349.

[39]- زخورا، إلياس: السوريون في مصر، المطبعة العربية، القاهرة، ط1، 1927م، ج1، ص55.

[40]- كرد علي، محمد: المذكرات، دار أضواء السلف للنشر والتوزيع، الرياض، د.ط، 2010م، ج1، ص47.

[41]- من القناصل الشوام الذين تمتعوا بمكانة تجارية في مصر في عام 1891م، سلامة رزق كان قنصلاً لروسيا، وحبيب عنحوري كان قنصل انكلترة والدنمارك، وسليم سرور كان قنصلاً لكل من إسبانيا والسويد والنرويج، وسليم عنحوري وكان قنصل ألمانيا، وإلياس قصير

ب- أشهر التجار وأعمالهم: ومن أهم التجار الشوام الذين حققوا نجاحاً في مصر كان الأخوين صيدناوي (سليم وسمعان[42])، حيث عمل الأخوين في بداية عملهم في بيع الألبسة والعطور التي يتم شراؤها من التجار الأوربيين الموجودين في مصر، لكنهم ما لبثا أن وسعا أعمالهما التجارية، فأسسوا شركة لاستيراد الألبسة والعطور من الوكلاء مباشرةً في (انكلترة وفرنسا) دون الحاجة إلى الوسطاء، كما أقاموا عدد من المصانع لصنع الألبسة المتنوعة (الحريرية والصوفية والقطنية)، ولم تقتصر أعمالهم على ذلك بل تم توسيع نشاطاتهم لتشمل اللوازم المنزلية، ويرجع سبب نجاح الأخوين تقسيم العمل فيما بينهما فتولى سليم التسويق والحسابات، وتولى سمعان بالتنظيم وإدارة البيع، واغتنام الفرص وحسن الاختيار، والثبات على عمل واحد، حيث ثبتا على نفس العمل لثلاثين سنة والأمانة في التعامل[43]. كما نجح داوود حبيب في افتتاح محل تجاري يعمل في مجال الأقمشة والمنسوجات في مدينة القاهرة في عام 1893م، لينجح لاحقاً في الحصول على عدد من وكالات لشركات أوروبية متعددة[44].

وفي مدينة الاسكندرية تميزت العديد من العائلات الشامية في المجال التجاري، منها: عائلة بابازواغلي التي يرجع أصلها إلى جبل لبنان، وهاجر أيوب بابازواغلي بسبب الحادثتين الأولى والثانية من الحرب الأهلية بين الدروز والمسيحيين، ونزل مدينة الاسكندرية ونجح في افتتاح محله الخاص بعد أن قصد مدينة الزقازيق لتجارة القطن والحبوب وغيرها، وكان يضرب به المثل من حيث الأمانة والاستقامة فتقاطر عليه التجار من كل جهة، فاتسعت أعماله وعظم نفوذه حتى أصبح له وكلاء في أكبر المدن المصرية[45]، وعائلة طراد في بيروت الذي تمكن أحد أفرادها (ميخائيل) من تحقيق ثراء كبير لعمله في الوساطة التجارية، وكذلك (أسعد طراد) الذي عمل بالتجارة في الاسكندرية والمنصورة

كان قنصل البرتغال، ونقولا قصير وكان ممثل فرنسا، وسليم سلامة قنصل البرازيل. انظر: درويش، ماهر محمد: هجرة الشوام، مرجع سابق، ص70.

[42]- ولد سليم الصيدناوي في دمشق 1856م، تعلم مهنة التجارة وجاء إلى مصر 1879م، فاشتغل بالخياطة واشترك مع الخواجة متري صالحاني في محل للخياطة، وبقي في العمل حتى صار من أكبر تجار مصر. أما سمعان: فهو أصغر من أخيه بسنتين ولد عام 1858م ، وقدم مصر في عام 1877م، حيث عمل مع عمه نقولا صيدناوي ببيع الحرائر والخرداوات، وما لبث أن انتقل إلى محل أخر، حتى نجح مع أخيه من تأسيس شركة مساهمة اسمها (سليم وسمعان صيدناوي) التي كانت من أعظم المحال التجارية في الشرق. انظر: فهمي، زكي: صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2013م، ص766-768. وزيدان، جرجي: تراجم العصر، مصدر سابق، ج1، ص349.

[43]- كان أساس نجاح الاخوين امانتهما، حيث جاءت خادمة إلى حانوت سليم من قصر الامير مصطفى فاضل باشا، وابتاعت ثوبين بستة عشرة قرش تعريفة، ففهمت أنه يعني ستة عشر قرش صاغ، فلم ينتبه لها مقدار ما دفعته لانشغاله بالعمل، وعندما عدّ النقود وجدها ضعف السعر، وعندما جاءت في اليوم الثاني لشراء ثوبين أخرين وبيدها ستة عشرة قرش، اخبرها بالخطأ الذي حصل ولم يأخذ منها شيئاً، فشاع الخبر بين الوجهاء والأمراء وأقاربهم عن أمانته، فرغبوا جميعاً بمعاملته. انظر: زيدان، جرجي: تراجم مشاهير الشرق، مصدر سابق، ج1، ص349-353.

[44]- زخورا إلياس: السوريون في مصر، مصدر سابق، ج1، ص45.

[45]- كان أيوب لا يمتلك شيء، دخل إحدى المحال التجارية، ونظراً لاجتهاده وأمانته نال رضا رؤسائه في العمل، تعلم القراءة والكتابة باللغة العربية، قصده الكثير من أبناء بلاده من أهل الشام وخلافهم، فأحسن إليهم واستخدم بعضهم في محلاته التجارية، وأمد أخرين بالمال دون مقابل، توفي عام 1886م وعمره 72عام. زخورا، إلياس: مرآة العصر، مصدر سابق، ج3، ص386-390.

وغيرها[46]، كما اشتهر في مجال التجارة بشارة الخوري الذي غادر إلى مصر ونزل في الاسكندرية، نتيجة المشكلات التي حصلت في فلسطين، فعمل في بعض المحلات التجارية بصفة كاتب، ثم ما لبث ان استقل بنفسه فافتتح محلاً خاصاً به واكتسب ثقة الناس، فكسب أموالاً طائلة واتسعت ثروته، فعمل في المقاولات التي عقدها مع الحكومة المصرية[47]. كما اشتهر حبيب دبانة في تجارة الحرير والأقمشة، وأفراد عائلة توتنجي الحلبية اشتهروا بتجارة الذهب والحديد وأعمال البورصة، وألبير خلاط الذي كان وكيل البواخر البحرية، كما تمكن عدد من التجار من الحصول على وكالات عدد كبير من الشركات الأوروبية، ومنهم عيسى أفتيموس الذي عمل مترجماً في إحدى الشركات الأجنبية في بور سعيد، وبعد افتتاح قناة السويس نجح في الحصول على عدد من الوكالات الأوروبية في المدينة، فافتتح محلات (أفتيموس إخوان) عدّت من أكبر المحلات التجارية في المدينة[48].

2- في المجال الصناعي:

أ- النشاط الصناعي: نجح الشوام في استغلال النهضة الصناعية التي سعى الخديوي اسماعيل لإقامتها في مصر، حيث فتح الباب واسعاً امام التصنيع، فتوسع في صناعة السكر والسلاح والنسيج[49]، فعمل الشوام في المجال الصناعي، فقاموا بتأسيس عدد من الشركات الصناعية التي أنتجت الكثير من السلع والأصناف بالاعتماد على أحدث الآلات المستوردة من أوروبا، وتهدف إلى تأمين حاجة السوق المصرية من المنتجات، ومن أهم تلك الشركات، شركة الملح والصودا المصرية، التي أسسها عدد من المهاجرين الشوام في عام 1889م، وتفرعت عن تلك الشركة، الشركة المالية والصناعية المصرية والتي أسست أول مصنع لإنتاج حامض الكبريت والأسمدة الكيماوية في عام 1899م[50]، كما رغب هؤلاء في الاستفادة من عملهم بالتجارة فقاموا بافتتاح عدد من الشركات الصناعية، لتصنيع السلع والمنتجات التي يتاجرون بها كالنسيج والأقمشة وغيرها[51].

ب- أشهر الصناع ونشاطاتهم: وجدت العديد من الشركات التي أسسها شوام في الأراضي المصرية منها: شركة أبناء شكر الله التي تأسست عام 1877م، لإنتاج وتصنيع الفحم والأسمدة، ومصانع شحفة إخوان لإنتاج الفراء والجيلاتين، ومصانع نايف عماد باشا لإنتاج زيوت بذور القطن، وشركة فيعاني إخوان لتصنيع وتصدير الأقطان، ومصانع جرجس عماد وأولاده التي تأسست في عام 1898م، وعملت في مجال انتاج الصابون، في مدينة الاسكندرية[52].

---

[46]- ولد أسعد طراد في بيروت عام 1835م، تعلم في المدرسة الأمريكية في عبية، وبعد بلوغه سن الشباب انتقل من سورية إلى مصر عام1872م، وبالإضافة لعمله في التجارة كان محباً للشعر والأدب، له العديد من القصائد الشعرية، حيث قام ابنه بجمع شعره في ديوان بعد وفاته عام 1891م. انظر: زيدان، جرجي: تراجم الشرق، مصدر سابق، ج2، ص355.

[47]- ولد بشارة الخوري في مدينة عكا الفلسطينية عام 1838م، وانتقلت أسرته إلى مصر وهو صغير في العمر، ومع عمله بالتجارة اشتهر بالصدق والأمانة بين الناس، لكنه ما لبث أن اعتزل التجارة وسافر إلى بيروت، انتسب إلى جمعية القديس منصوه، ثم تولى رئاستها، ثم تولى رئاسة الجمعية الخيرية للروم الكاثوليك في بيروت لمدة 15 سنة. انظر: زيدان، جرجي: تراجم الشرق، مصدر سابق، ج1، ص369-370.

[48]- زخورا، إلياس: السوريون في مصر، مصدر سابق، ج1، ص55-150.

[49]- بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1968، ص579.

[50]- درويش، ماهر محمد: هجرة الشوام، مرجع سابق، ص71.

[51]- زيدان، جرجي: تراجم الشرق، مصدر سابق، ج1، ص351.

[52]- درويش، ماهر محمد: هجرة الشوام، مرجع سابق، ص71.

كما عمل العديد من الشوام في مجال المقاولات والعقارات، فاعتمدت الحكومة المصرية عليهم في تشييد المشاريع الحكومية، ومن أشهر من عمل في هذا المجال حبيب السكاكيني الذي جمع ثروة مالية ضخمة من تنفيذ عدد من المشاريع الحكومية (رصف الشوارع وتجفيف المستنقعات)[53]، ومن أشهر المشاريع التي شيدها دار الأوبرا المصرية، التي تم الاحتفال فيها بافتتاح قناة السويس، فنال مكافأة مالية ضخمة من الخديوي اسماعيل الذي أعجب بسرعة انجاز المشروع وإتقانه، فأصبح بعد ذلك من المقربين من الأسرة الحاكمة المصرية، كما أقام علاقات واسعة مع السلطان العثماني عبد الحميد (1876–1909م)[54] الذي وهبه سرايا عثمانية في القاهرة عام 1882م، فأصبح اسمها سرايا السكاكيني منذ عام 1895م، كما وهبه الخديوي توفيق قصراً في سنة 1890م تقديراً لجهوده الاقتصادية، كما أطلق على الحي الذي يسكنه في القاهرة اسمه[55].

3– في المجال الزراعي:

أ– النشاط الزراعي: عمل الشوام في الاستثمار الزراعي، فامتلك بعضهم أراضي زراعية واسعة، اعتمدوا عليها في إنتاج المحاصيل الزراعية كالقطن والزيوت النباتية والتبغ، وقد جمع بعضهم بين النشاط التجاري والصناعي والزراعي، ويظهر هذا فيما يتعلق بالقطن حيث وجد منهم من كان يسيطر على تجارة القطن بكافة مراحلها من زراعة وتصنيع وبيع، ومحاولة تطوير انتاجه باستعمال الوسائل العلمية[56].

ب– أشهر المستثمرين في المجال الزراعي: ومن أشهر المستثمرين في المجال الزراعي، خالد بك لطفي، الذي نجح في امتلاك الأراضي وشراء الأملاك منكباً على الزراعة والفلاحة، فنجح في ذلك وأصبح ذا ثروة طائلة وأملاك واسعة[57]، أما في انتاج القطن فقد برع واشتهر ألفرد شماس الذي سعى لتطوير هذا المنتج، فأصدر مؤلفات تتحدث عن زراعة القطن وسبل تحسين إنتاجه، معتمداً في ذلك على تجربته الشخصية في مجال زراعة القطن، وعلى وجه

---

[53]– كانت بداية نجاحه مع قدرته على حل مسألة استفحال مشكلة الجرذان في منطقة القناة، والتي كانت تأكل زاد العمال وتقضم الآلات المستوردة، ولم تكن هناك مبيدات فعالة للقضاء عليها، فنشر في الصحف طلبات للمساعدة في ذلك، فتطوع حبيب لهذه المهمة، وقدم اقتراحاً عبقرياً تمثل في شراء أعداد كبيرة من القطط ونقلت على ظهور الجمال، وبعد فترة تجويع متعمدة أطلقت القطط على أماكن تجمع الجرذان، وبالفعل فقد تقلص عدد هذه الجرذان، فأعجب دليسبس بحبيب وعينه رئيس ورشة تجفيف المستنقعات. انظر: ضاهر، مسعود: هجرة الشوام، مرجع سابق، ص197.

[54]– ولد السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد عام 1842م، نشأ وترعرع في إستانبول، اشتهر منذ شبابه بحسن التصرف المالي من خلال حسن إدارة أملاكه ومزارعه، وباستعمال السيف وألعاب الفروسية، كما كان يتردد إلى الشيوخ والعلماء، تولى الحكم بعد عزل السلطان مراد الذي أصيب بمرض عصبي، فأعلن أعضاء الوزارة خلع السلطان، لأن مسألة شفاءه في وقت قريب أمر مستحيل، واستصدر شيخ الإسلام فتوى بعزله، وتمت مبايعة السلطان عبد الحميد، وقد شهد حكمه العديد من المشكلات الداخلية والحروب الخارجية، حتى نجحت جمعية الاتحاد والترقي المعارضة من عزله. انظر: الغامدي، سعيد بن سفر: موقف المعارضة في المشرق العربي من حكم السلطان عبد الحميد الثاني (الشام ومصر)، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 1992م، ص63–85.

[55]– زخورا، إلياس: السوريون في مصر، مصدر سابق، ج2، ص225.

[56]– الدسوقي، عاصم: كبار ملاك الأراضي الزراعية ودورهم في المجتمع المصري 1914–1952م، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1975م، ص118.

[57]– ولد في دمشق عام 1859م، وبقي فيها إلى ان بلغ أشده فترك مسقط رأسه وقدم إلى الديار المصرية حيث اختار مدينة الفيوم مكاناً لسكناه، وطلب الاستخدام في مصالح الحكومة فبقي كاتباً في المديرية، حيث أظهر براعة في أعمال الكتابة، وعندما وجد رؤساؤه منه أمانة طلبوا من وزارة الداخلية تثبيته في مأموريته، لكنه ما لبث أن استقال منها. انظر: زخورا، إلياس: مرآة العصر، مصدر سابق، ج3، ص436–437.

الخصوص مع امتلاكه الأراضي الزراعية الواسعة، فحقق ثروة ضخمة جعلت منه أحد كبار رجالات الاقتصاد المصري، فتولى على إثرها عدد من المناصب الإدارية، منها: عضو مجلس إدارة أكثر من شركة أوروبية عاملة في مصر، وسكرتيراً لغرفة التجارة المصرية في مدينة القاهرة، وأميناً لصندوق النقابة الزراعية بمصر وغيرها من المناصب[58]. كما اشتهر في مجال زراعة القطن شكري صعب الذي كان مدير شونة (البنك العثماني لبيع القطن) عام 1875م، والذي نجح بامتلاك ستين فدان من الأراضي الزراعية في مدينة المنصورة، اعتمد عليها في زراعة القطن وتصنيعه وزراعته وتجارته[59].

ومن العائلات الشامية التي عرفت في مجال الاستثمار الزراعي، برز اسم سمعان كرم الذي كان تاجر أقطان ومزارعاً كبيراً، حيث انتقل من سوريا إلى طنطا، وعمل في مجال الزراعة، حيث بلغت أملاكه قرابة ستين فداناً، حيث اشترى قسماً منها، وورث قسماً من أهل زوجته اليونانية الذين امتلكوا أراضي واسعة في طنطا وجوارها[60].

الخاتمة:

لقد لعبت العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية سواءً داخل باد الشام أو في مصر، دوراً في هجرة أهل الشام والاستقرار في مصر، وقد كان التشابه الكبير في العادات والتقاليد بين المجتمعين عاملاً مساعداً في سهولة اندماج أهل الشام في المجتمع المصري، فضلاً عن هامش الحرية الذي منحه وصول الخديوي اسماعيل إلى سدة الحكم في مصر، والذي ساهم إلى حد كبير في جذب أهل الشام إلى مصر. وقد نجح المهاجرون من مختلف مناطق الشام من تحقيق انجازات اقتصادية متنوعة، في كافة الميادين الاقتصادية (التجارة والصناعة والزراعة والبنوك)، فنجحوا في تأسيس قوة اقتصادية كبيرة لهم، ساهمت بجعلهم من نخبة المجتمع المصري، وأسهمت بشكل واضح وجلي في ترسيخ الوجود الشامي في الديار المصرية.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

1- الأيوبي، إلياس: محمد علي، دار هنداوي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2014م.

2- الأيوبي، إلياس: تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا (1863–1879م)، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ط، 1990م.

3- أمين، جلال أحمد: المشرق العربي والغرب (دور المؤثرات الخارجية في تطور النظام الاقتصادي العربي والعلاقات الاقتصادية العربية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، 1983م.

4- بيضون، جميل وأخرون: تاريخ العرب الحديث، دار الأمل للنشر، إربد، ط1، 1991م.

5- الجميل، سيار: تكوين العرب الحديث، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1997م.

6- حسون، علي: تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1994م.

[58]- زخورا، إلياس: السوريون في مصر، مصدر سابق، ج1 ص209–214.

[59]- الدسوقي، عاصم: كبار ملاك، مرجع سابق، ص124.

[60]- آل كرم أسرة أرثوذكسية تحولت إلى البروتستانتية في القرن التاسع عشر، وتعود جذور هذه الأسرة إلى قرية السودا قرب اللاذقية، هاجر سمعان إلى طرابلس الشام ومنها إلى طنطا في مصر بحراً، وكان عمره اثنا عشر عاماً، كان فقير الحال، وقد عمل كثيراً حتى أصاب ثروة كبيرة، تزوج من يونانية أرثوذكسية مولودة في مصر. انظر: ضاهر، مسعود: هجرة الشوام، مرجع سابق، ص159–170.

7- الدسوقي، عاصم: كبار ملاك الأراضي الزراعية ودورهم في المجتمع المصري 1914-1952م، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1975م.

8- الدوري، عبد العزيز: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة، بيروت، ط3، 1980م.

9- الرافعي، عبد الرحمن: عصر اسماعيل، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1987م، ج1.

10- رافق، عبد الكريم: العرب والعثمانيون (1516-1916م)، مطابع ألف باء، دمشق، ط1، 1974م.

11- رستم، أسد: المحفوظات الملكية المصرية (بيان بوثائق الشام1251-1254/1835-1839م)، الجامعة الأمريكية، بيروت، د.ط،1940م، ج3.

12- زخورا، إلياس: السوريون في مصر، المطبعة العربية، القاهرة، ط1، 1927م، ج1.

13- زخورا، إلياس: مرآة العصر في تاريخ ورسومات أكابر الرجال بمصر، المطبعة العمومية، القاهرة، د.ط، 1897م، ج1.

14- الزركلي، خير الدين: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، دار العلم للملايين، بيروت، ط14، 1999م، ج6.

15- زكار، سهيل، تاريخ بلاد الشام في القرن التاسع عشر، التكوين للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، د.ط، 2006م.

16- زيدان، جرجي: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ج1، ط1، 2012م.

17- السودا، يوسف: في سبيل لبنان، مطبعة الأرز، بيروت، ط2، 1924م.

18- صابان، سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 2000م.

19- صفوت، محمد صفوت: الاحتلال الانجليزي لمصر وموقف الدول الكبرى منه، دار الفكر العربي، مصر، د.ط، 1952م.

20- الصليبي، كمال: تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر، بيروت، ط7، 1991م.

21- ضاهر، مسعود: هجرة الشوام (الهجرة اللبنانية إلى مصر)، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009م.

22- طربين، أحمد: تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر (دراسة في التطورات والاتجاهات السياسية)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1995م.

23- طربين، أحمد: التجزئة العربية (كيف تحققت تاريخياً)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1987م.

24- غرابية، عبد الكريم: سوريا في القرن التاسع عشر (1840-1876م)، معهد الدراسات العربية، القاهرة، د.ط، 1962م.

25- الغامدي، سعيد بن سفر: موقف المعارضة في المشرق العربي من حكم السلطان عبد الحميد الثاني (الشام ومصر)، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 1992م.

26- غنام، رياض حسين: المقاطعات اللبنانية في ظل حكم الأمير بشير الشهابي الثاني ونظام القائمقاميتين (1788-1860م)، سيان للتوزيع والنشر، بيروت، ط1، 1998م.

27– فهمي، زكي: صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2013م.

28– كرد علي، محمد: خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط2، ج4.

29– كرد علي، محمد: المذكرات، دار أضواء السلف للنشر والتوزيع، الرياض، د.ط، 2010م، ج1.

30– مجهول: حسر اللثام عن نكبات الشام (وفيه مجمل أخبار الحرب الأهلية المعروفة بحوادث سنة 1860م، مع تمهيد في وصف البلاد الجغرافي والسياسي)، د.م، مصر، ط1، 1895م.

31– مشاقة، مخائيل: مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، منشئاه: ملحم خليل عبدو واندراوس حنا شخاشيري، د.م، مصر، د.ط، 1908م.

32– اليسوعي، صلاح أبو جودة: هوية لبنان الوطنية نشأتها واشكالياتها الطائفية، دار المشرق، بيروت، ط1، 2008م.

ثانياً: المصادر والمراجع المترجمة:

1– أوبنهايم، ماكس فون: من البحر المتوسط إلى الخليج (لبنان وسورية)، ترجمة محمود كبيبو، شركة دار الوراق للنشر المحدودة، لندن، (ج1)، ط1، 2008م.

2– أوبنهايم، ماكس فون: الدروز، ترجمة: محمود كبيبو، دار الوراق للنشر، لندن، ط2، 2009م.

3– بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1968.

4– لوتسكي، فلاديمير: تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة: عفيف البستاني، دار التقدم، موسكو، د.ط، د.ت.

5– نسكايا، سميليا: الحركات الفلاحية في لبنان في النصف الأول من القرن التاسع عشر، تعريب عدنان جاموس، دار الفارابي، بيروت، د.ط، 1972م.

6– نسكايا، سيميليا: المقدمات الاجتماعية والاقتصادية للحركات المناوئة للإقطاع، دار الفارابي، بيروت، د.ط، 1971م.

7– هرشلاغ، ز. ي: مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط، ترجمة: مصطفى الحسيني، دار الحقيقة، بيروت، ط1، 1973م.

رابعاً: الرسائل الجامعية:

1– درويش، ماهر محمد: هجرة الشوام (خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين)، قدمت هذه الأطروحة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، 2003م.

First: Arabic Sources and References:

1. Al-Ayubi, Elias. Muhammad Ali. Dar Hindawi for Publishing and Distribution, Cairo, 1st ed., 2014.
2. Al-Ayubi, Elias. History of Egypt during the Reign of Khedive Ismail Pasha (1863-1879). Makbāt al-Madbūlī, Cairo, No Date, 1990.
3. Amin, Jalal Ahmad. The Arab Mashreq and the West (The Role of External Influences in the Development of the Arab Economic System and Arab Economic Relations). Center for Arab Unity Studies, Beirut, 4th ed., 1983.

4. Baydoun, Jamil and others. Modern Arab History. Dar Al-Amal for Publishing, Irbid, 1st ed., 1991.
5. Al-Jamil, Siyār. Formation of Modern Arabs. Dar Al-Shurooq for Publishing and Distribution, Amman, 1st ed., 1997.
6. Hassoun, Ali. History of the Ottoman Empire. Islamic Office, Beirut, 3rd ed., 1994.
7. Al-Desouqi, Aassem. Large Landowners and Their Role in Egyptian Society 1914-1952. Dar Al-Ma'arif, Cairo, 1st ed., 1975.
8. Al-Douri, Abdul Aziz. Introduction to Arab Economic History. Dar Al-Tali'a, Beirut, 3rd ed., 1980.
9. Al-Rafii, Abdul Rahman. The Era of Ismail. Dar Al-Ma'arif, Cairo, 4th ed., 1987, Vol. 1.
10. Rafiq, Abdul Karim. The Arabs and the Ottomans (1516-1916). Alif Ba Press, Damascus, 1st ed., 1974.
11. Rostom, Asad. Egyptian Royal Archives (A Statement of Documents from the Levant 1251-1254/1835-1839). The American University, Beirut, No Date, 1940, Vol. 3.
12. Zakhoura, Elias. Syrians in Egypt. Al-Matba'a Al-Arabiya, Cairo, 1st ed., 1927, Vol. 1.
13. Zakhoura, Elias. Mirror of the Era in the History and Portraits of Major Figures in Egypt. Al-Matba'a Al-Omumiya, Cairo, No Date, 1897, Vol. 1.
14. Al-Zarkali, Khairuddin. Al-A'lam (A Dictionary of Biographies of Famous Men and Women from Among Arabs, Arabized Individuals, and Orientalists). Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut, 14th ed., 1999, Vol. 6.
15. Zakar, Suhail. History of Greater Syria in the Nineteenth Century. Al-Takwin for Studies, Translation, and Publishing, Damascus, No Date, 2006.
16. Zidon, Jurji. Biographies of Famous Figures of the East in the Nineteenth Century. Hindawi Foundation for Education and Culture, Cairo, Vol. 1, 1st ed., 2012.
17. Al-Souda, Youssef. In Pursuit of Lebanon. Al-Arz Press, Beirut, 2nd ed., 1924.
18. Saban, Suhail. The Comprehensive Dictionary of Historical Ottoman Terms. King Fahd National Library, Riyadh, 1st ed., 2000.
19. Safwat, Mohamed Safwat. The English Occupation of Egypt and the Position of Major Powers Towards It. Dar Al-Fikr Al-Arabi, Egypt, No Date, 1952.
20. Al-Salibi, Kamal. Modern History of Lebanon. Dar Al-Nahar for Publishing, Beirut, 7th ed., 1991.
21. Dahir, Masoud. Emigration of the Levantines (Lebanese Immigration to Egypt). Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution, Cairo, 1st ed., 2009.
22. Tarbeem, Ahmed. Modern and Contemporary History of Egypt and Sudan (A Study of Political Developments and Trends). Al-Risala Foundation, Beirut, 1st ed., 1995.
23. Tarbeem, Ahmed. Arab Fragmentation (How It Was Historically Achieved). Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1st ed., 1987.
24. Gharabia, Abdul Karim. Syria in the Nineteenth Century (1840-1876). Arab Studies Institute, Cairo, No Date, 1962.
25. Al-Ghamdi, Saeed bin Safar. The Stance of the Opposition in the Arab East Regarding the Reign of Sultan Abdul Hamid II (Al-Sham and Egypt). Al-Tawbah Library, Riyadh, 1st ed., 1992.
26. Ghanem, Riyad Hussein. The Lebanese Provinces Under the Rule of Prince Bashir Al-Shihabi II and the System of the Two Qaimmaqamiyyahs (1788-1860). Siyan for Distribution and Publishing, Beirut, 1st ed., 1998.

27. Fahmi, Zaki. The Elite of the Era in the History and Portraits of Famous Men in Egypt. Hindawi Foundation for Education and Culture, Cairo, 1st ed., 2013.
28. Kurd Ali, Muhammad. Plans of Al-Sham. Al-Nouri Library, Damascus, 2nd ed., Vol. 4.
29. Kurd Ali, Muhammad. Memoirs. Dar Adwa' Al-Salaf for Publishing and Distribution, Riyadh, No Date, 2010, Vol. 1.
30. Unknown author. Lifting the Veil on the Catastrophes of Al-Sham (Including a Summary of the Civil War Known as the Events of the Year 1860, with an Introduction Describing the Geographic and Political Situation). No Publisher, Egypt, 1st ed., 1895.
31.
Mushakka, Mikhael. The Eye-Witness Account of Events in Syria and Lebanon. Compiled by: Melhem Khalil Abdo and Andraous Hanna Shakhashiri. No Publisher, Egypt, No Date, 1908.
32. Al-Yasou'i, Salah Abu Joudah. The National Identity of Lebanon: Its Origins and Sectarian Issues. Dar Al-Mashriq, Beirut, 1st ed., 2008.

Secondly: Translated Sources and References

1. Oppenheim, Max von. From the Mediterranean to the Gulf (Lebanon and Syria). Translated by Mahmoud Kbeibo. Dar Al-Waraq Publishing Limited, London, Vol. 1, 1st ed., 2008.
2. Oppenheim, Max von. The Druze. Translated by Mahmoud Kbeibo. Dar Al-Waraq Publishing, London, 2nd ed., 2009.
3. Brockelman, Karl. History of Islamic Peoples. Translated by Nabi Amin Faris and Munir Al-Baalbaki. Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut, 5th ed., 1968.
4. Loutski, Vladimir. History of Modern Arab Countries. Translated by Afeef Al-Bustani. Dar Al-Taqaddum, Moscow, No Date, No Year.
5. Naskaya, Semilia. Peasant Movements in Lebanon in the First Half of the Nineteenth Century. Translated by Adnan Jamous. Dar Al-Farabi, Beirut, No Date, 1972.
6. Naskaya, Semilia. Socio-Economic Preconditions for Anti-Feudal Movements. Dar Al-Farabi, Beirut, No Date, 1971.
7. Hershlag, Z. Y. An Introduction to the Modern Economic History of the Middle East. Translated by Mustafa Al-Husseini. Dar Al-Haqiqah, Beirut, 1st ed., 1973.

Fourth: Academic Theses

1. Darwish, Maher Muhammad. Emigration of the Levantines (During the Second Half of the Nineteenth Century and the Early Twentieth Century). Submitted as a thesis for the Master's degree in History, An-Najah National University, Nablus, 2003.